النزعة الإنسانيَّة
في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ

الباحث إياد نيسي

طالب دكتوراه في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة خليج فارس

في بوشهر/الجُمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة

Humanism in the Poetry of Sayyid Haider Al-Hilli

Researcher Ayad Neissi

A PHD Student of Arabic Language and Literature

Major at Persian Gulf University of Bushehr/Iran

Islamic Republic

المُلخَّص

تكتسب النزعةُ الإنسانيَّةُ في العصر الحديث زخمًا جديدًا؛ نتيجةً لأمورٍ كثيرة، منها اتِّساع البعد الثقافيّ والمعرفيّ لدى الأدباء والشعراء، وزيادة التمازج الحضاريّ بين الشعوب، وتطوُّر الدراسات الفكريَّة والفلسفيَّة والاجتماعيَّة، وظهور تيَّارات متعدِّدة ومتناقضة تسعى لِقيادة المجتمعات، من رؤى وأفكار ومبادئ في السياسة والمعتقدات وغيرها، ممَّا كان الإنسان محورها وأساسها.

خلصت هذه الدراسة إلى عرض أبرز الملامح والظواهر المختلفة لِلنزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، ونحن في هذا البحث اعتمدنا على المنهج الوصفيّ التحليليّ، وقسَّمنا جوانب القيم الإنسانيَّة في شعره، ثمَّ استخرجنا مواطن جماليَّتها، وأشرنا إلى المزيَّات البارزة والأساسيَّة لِلنزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

وَقد انعكست هذه القيَّم بشكلٍ جليٍّ على صفحات شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، بحيث كان لهذه المظاهر أصداء كبيرة فيه. هذا البحث يحاول إلقاء الضوء على ما في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ من آراء قيِّمة حول القيم الإنسانيَّة تتمثَّل في مواضيع عديدة، مِنها: الحميَّة، والغيرة، والحريَّة، والحلم، والصفح، والشجاعة، والشهامة، والكرم، والوفاء، والهمَّة، والإباء.

الكلمات الدَّاليَّة:

الأدب العربيّ، النزعة الإنسانيَّة، الشعر، السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

Abstract

Humanism in the modern era is gaining new momentum as a result of many things, including the expansion of the cultural and cognitive dimension of writers and poets, the increase of civilizational blending among peoples, the development of intellectual, philosophical and social studies, and the emergence of multiple and contradictory currents that seek to lead societies from visions, ideas and principles in politics, beliefs and other things that have man as the center and foundation.

This study concluded by presenting the most prominent features and various phenomena of humanism in the poetry of Sayyid. Haider Al-Hilli.

In this research, we relied on the descriptive analytical method, and divided the aspects of human values in his poetry, then extracted the places of their aesthetics, and pointed out the salient and basic features of humanism in the poetry of Sayyid Haider Al-Hilli.

These values were clearly reflected in the pages of the poetry of Sayyid Haider Al-Hilli, as these manifestations had great echoes in it. This article attempts to shed light on the valuable opinions in the poetry of Sayyid Haider Al-Hilli about human values represented in many topics, including: fervor, jealousy, freedom, mercy, forgiveness, courage, magnanimity, generosity, loyalty, determination, and pride.

Keywords:

Arabic literature, humanism, poetry, Sayyid. Haider Al-Hilli.

المُقَدِّمَة

بسم الله والحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِين، والصَّلَاةُ والسَّلامُ على خاتَم الأنبياء والمرسَلِين، وصَفوَةِ خَلق اللهِ أجمَعِين، سَيِّدنا مُحَمَّدﷺ الَّذي قالَ فيه الله الحكيم في محكم كتابه الكريم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

الإنسان بما هو إنسان، غايته التامة، المعرفة بنفسه وبربِّه، فالقيم المكنونة في وجوده هي التي جاء الأنبياء من أجل إشاعتها، بحيث تحمَّلوا الصعاب في مسير تعليمها ونشرها بين الناس؛ هذا لأنَّها تعطي الإنسان مقام الكرامة والمعرفة والكمال والسير إلى الله الذي لا حدَّ له حتَّى تقف المعرفة دونه، فلابدَّ للإنسان المتعالي أن يصل إلى غاية خلقته، ألَا وهي العبوديَّة، وَقال الله تعالى فيها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، أي ليعرفون، فالذي أحيا بنفسه هذه القيم هو أقرب إلى الكمال من غيره؛ لأنَّ الفلاسفة تعتقد أنَّ الكمال هو سرُّ الخلقة، بقولهم: لولا الكمال لما خُلق الوجود، فعندما نقول: إنَّ محمَّدًا وآل محمَّدﷺ هم العلَّة الغائيَّة للوجود، بدليل أنَّهم مظهر للقيم الإنسانيَّة، وهذا ما أشار إليه السيِّد حيدر الحِلِّيّ في قصائده مرارًا وتكرارًا، وكانت الإشارات منه مبتنية على دلائل عقليَّة ودلائل نقليَّة، وهذا الأمر يخبرنا عن إحاطته بالروايات الواردة في فضل أهل البيتعليهم السلام، وتنوُّع قصائده بمواضيعها تُنبئ بأنَّ هذه القيم لو حصلت عند أهل مجتمع لكان ذلك المجتمع هو المجتمع المثاليّ الذي

(١) القرآن الكريم، سورة القلم: الآية ٤.
(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

رسمه لنا النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله.

تتجلّى أهميَّة هذا البحث في الكشف عن النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، التي لم يتناولها الباحثون وَدارسو الأدب. وَالقيم الإنسانيَّة هي من المفاهيم التي يتميَّز بها الإنسان عن سائر المخلوقات، وَيمكننا أن نقول: بفضل هذه القيم وَالمُثل يُصبح الإنسان إنسانًا، فلولا هذه المفاهيم السامية كالكرم، والشجاعة، والصبر، والإيثار والشهامة، لما استطعنا أن نميِّز بين الحيوان والبشر، وأصبح مصيرنا مصير سائر الحيوانات، لكن الله سبحانه وتعالى ميَّز الإنسان بميزة العقل والذات البشريَّة بحيث يستحقُّ أن تسجد له الملائكة، فالبحث عن النزعة لهذه القيم الإنسانيَّة، وترسيخها في المجتمعات هو واجب كلِّ شخصٍ منَّا؛ حفاظًا على الروح البشريَّة والمُثل الرفيعة التي تفصلنا عن الحياة الحيوانيَّة. فنحن توخَّينا أن ندرس هذه النزعة الإنسانيَّة الموجودة في الشعر، بما أنَّه يزخر بكثير من المفاهيم الإنسانيَّة الرفيعة، وَاخترنا لدراستنا هذه أحد أعلام شعراء الحِلَّة، وَهو السيِّد حيدر الحِلِّيّ؛ وذلك لما في ديوانه مِن كنوز إنسانيَّة رفيعة، حثًّا لاقتداء المتمعِّنين بهذه القيم.

أهداف البحث

يهدف هذا البحث للوصول إلى النتائج الآتية:

١. الكشف عن مدى وجود النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ.

٢. دراسة القيم الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحلِّيّ، وتحليلها.

أَسئلة البحث

هذه الدراسة تسعى للإجابة عن الأسئلة الآتية:

أ. السؤال الأصلي:

هل هناك اتِّجاهات إنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ؟.

ب. السؤال الفرعيّ:

كيف عبَّر الشاعر عن هذه النزعات الإنسانيَّة؟.

توطئة عن الإنسانيَّة في الأدب العربيّ

إنَّ الشعر من أرقى الفنون التي عرفها الأنسان، لاسيما الوجدانيّ منه، فهو يعدُّ الفن الحقيقيّ؛ لأنّه يقوم على صدق العاطفة التي ينتج عنها صدق التجربة وَعمقها، وَلا يكون كذلك إلَّا إذا كان نابعًا من أعماق الحياة الإنسانيَّة.

وَالإحساس بصدق الشاعر لا يتمُّ إلَّا إذا اهتزَّ المتلقِّي وتفاعل مع ما يشدو به الشاعر، «فإنَّ التعبير الشعريّ إذا كان يصل إلينا من خلال الانطباع الذاتيّ أو المعاناة الشخصيَّة للأديب، فإنَّ هذا الانطباع أو تلك المعاناة تتمُّ في إطار التجربة التي يعيشها ويمارسها المجتمع الذي يوجد فيه الشاعر»[1].

والشاعر المرهف لا ينفصل عن مجتمعه ولا يبتعد عنه بفنِّه، وَإنَّ من أكبر الدوافع المحرِّكة للعواطف الإنسانيَّة الكامنة في نفس الشاعر هو أن يمرَّ بلحظةٍ من تلك اللحظات التي يخيِّم فيها اليأس والألم على المجتمع، «فليست حياة الإنسان الباطنة سوى صورة للحياة الاجتماعيَّة تنعكس على مرآة النفس، وفيها يبذل الفنَّان من نفسه للفن، وليست نفسه هذه سوى صورة من المجتمع الذي لا يستطيع أن يتجرَّد منه أو ينقطع عنه»[2].

(١) أحمد الصاوي، مفهوم الجمال في النقد الأدبيّ؛ أصوله تطوُّره، ط١، ١٩٨٤م: ٢٨٦.
(٢) المصدر نفسه: ٢٨٧.

وَمن هنا كان جمال الشعر وَرُقيُّهُ مرتبطًا بمدى اتِّصاله بالبيئة والمجتمع، وملامسته لقضايا النفس والواقع. وإذا ما حاولنا أن نصل إلى حقيقة أيِّ مجتمع، وَأردنا أن نقف على ما يتوشَّح به أفراده من أخلاق، فإنَّنا سنجد قول الله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾[1]، ماثلًا في أخلاق جميع البشر، فقد خلق الله الإنسان وَفي طيَّات نفسه الخير والشرّ، وهذه سنَّة الله في الكون لابدَّ أن تنفذ، وحتمٌ لها أن تتحقَّق، فليس هناك مجتمع خير بأكمله، وَآخر شرٌّ برمته، وحتَّى الإنسان نفسه قد يكون خيِّرًا بطبيعته، وقد يسقط في شراك الشرِّ حينًا آخر، إذ ليس من المعقول أن تطرح الأشجار جميع ثمارها يانعة لذيذة، أو تكون كلُّ أغصانها فارعة باسقة، فقد يكون من بين الثمار ما هو فاسد أو عديم الطعم، وقد يكون من بين أغصانها ما هو متكسِّر أو جاف، كما قد يكون إنسانٌ نازعًا إلى الخير، توَّاقًا لكلِّ ما هو نبيل، يصطدم بآخرَ ماضٍ في طريق الشَّرِّ، موغلٍ في دروب الظلم والطغيان؛ فيحتدم الصراع، وتعصف العواطف بين هذَين العنصرَين اللذَين تقوم على أساسهما أخلاق البشريَّة جمعاء.

وَمِن هنا نشأ الحديث عن الإنسانيَّة التي تعني الدعوة إلى الخير، وَلكلِّ ما تحتضنه هذه الكلمة من دعوة إلى الحبِّ والتآلف والتصالح مع الذات ومع الآخرين، والتي تنادي بكلِّ خلقٍ نبيلٍ وَصفةٍ سامية، فهي تعني بهذا المفهوم تلك النزعة الأصليَّة وتنزيهها من التعصُّب والتحزُّب، بحيث تكون عاطفة شاملة تحتوي البشر جميعًا بلا تفرقة ولا تمييز، لا تميِّز العرق أو الجنس أو الدين اعتبارًا[2].

أمَّا في المجال الأدبيّ، فإنَّ الإنسانيَّة هي اتِّجاهٌ عامٌّ شاملٌ، لا يختصُّ بها مذهب

(١) سورة البلد: الآية ١٠.

(٢) عمر دقَّاق، الاتِّجاه القوميّ في الشعر المعاصر، جامعة الدول العربيَّة، معهد الدراسات العربيَّة العالية، ١٩٦١م: ١٤٧.

أدبيّ معيَّن دون سواه، فهي كالأدب وليدة العواطف الإنسانيَّة والفعل الإنسانيّ، وأقرب المذاهب إليها أكثرها قربًا من الإنسان، وأشدُّها اعتناقًا له، واهتمامًا بقضاياه[1].

ومن هنا كانت النزعة الإنسانيَّة التي يرمي البحث الوصول إليها هي تلك العواطف الراقية النبيلة التي تحدو بالإنسان إلى التحليق في سماء الحبِّ والخير والعطاء والنَّماء، وتُعينه على نُبذِ الشَّرِّ، ومحاربة الطغيان، ونَبذِ الذلِّ والهوان، فكان مراد هذه الدراسة منطلقًا للبحث عنها في شعر شاعرٍ من مبدعي العصر الحديث.

لقد كان الشعراء بمختلف العصور في طليعة المنادين والمترنِّمين بالإنسانيَّة، يفوح شعرهم بعِطر معانيها النبيلة، ويصدح صوتهم بقيمها السامية.

ولقد نشأ شعرنا العربيّ وَترعرع في حضن بيئته ومجتمعه، فكان غنيًّا بالمعاني الإنسانيَّة النبيلة، والقيم الروحيَّة الأصيلة. لذا عندما أنارَ الإسلام الكون بتعاليمه؛ رسَّخَ تلك المعاني النبيلة والقيم الأصيلة في رحابه، وَانصهرت في بوتقة قيمه الإلهيَّة والرفيعة، فقال الله عَجَّلَ في محكم تنزيله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[2]، ومن هنا نجد أَنَّ القرآن الكريم ركَّز على أَهمية الإنسانيَّة بوصفها ركيزة خلقية للمسلم، تتمحور حولها مشاعره وعواطفه، وتنطلق تصرُّفاته وسلوكيَّاته.

واحتضن الحديث الشريف من النبيِّ الأَكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وآل بيته الأَطهار كلَّ المعاني الإنسانيَّة النبيلة، وبثَّها في نفوس أبناء الإسلام من اليوم الأوَّل لانضمامهم تحت لواء الحقِّ.

(١) مفيد قميحة، الاتِّجاه الإنسانيّ في الشعر العربيّ للمعاصر، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨١م: ٥١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

وقد غزت هذه المعاني جميعها قلوب الشعراء منذ عصر صدر الدعوة، فكان شعرهم صوتًا للحقِّ وَنداءً للإنسانيَّة، بدءًا بالدفاع عن هذا الدين- دين الإنسانيَّة- دفاعًا حارًّا، فهذا حسَّان بن ثابت، وَذاك كعب بن مالك، وَهناك عبدالله بن رواحة، وغيرهم كُثر ممَّن دافع ونافح عن دين الحقِّ والعدل والسَّلام، وكذلك تغنُّوا بمزاياه و تعاليمه ومُثله التي ما أتت إلَّا لتواكب الفطرة السليمة، والإنسانيَّة القويمة، وَها هو الإمام عليّ عليه السلام الذي تربَّى على يد الرسالة في مدرسة الإسلام يقول[1]:

«إنَّ المكارمَ أخلاقٌ مطهَّرةٌ
فالدِّينُ أوَّلها والعقل ثانيها
والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعُها
والجُود خامسُها والفضل ساديها
والبرُّ سابعُها والصبرُ ثامنُها
والشكرُ تاسعُها واللين باقيها»

وَله في الإباء والكرامة التي حفظها الإسلام لجميع البشر أبيات رائعة يقول فيها[2]:

«إذا أظمأتْكَ أكفُ الرِّجالِ
كفَتَك القناعة شبعًا وَريَّا
فَكُن رجلًا رجلُه في الثرى
وَهامة هِمَّته في الثريَّا
أبيًّا لنائلِ ذي ثروةٍ
تراه لما في يديه أبيَّا

(١) يوسف فرحات، شرح ديوان الإمام عليّ عليه السلام، ط٨، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ٢٠٠٢م: ١٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٢٧.

فـــــإنَّ إراقـــــــة مـــــاءِ الحـــيـــاةِ

دونَ إراقـــــــةِ مـــــاءِ المـحـيَّـا»

خصال رائعة ينادي بها الإمام عليّ عليه السلام، فمن مزايا الإنسانيَّة هي ما تنادي به مبادئ الدين الحنيف، وَهي: القناعة، والتجمُّل بالإباء، وبذل الحياة الرخيصة في سبيل صيانة الكرامة وحفظ ماء الوجه.

المبحث الأَوَّل

وقفةٌ على حياة السيِّد حيدر الحِلِّيّ وشخصيَّته في شعره

هو أبو سليمان السيِّد حيدر بن سليمان بن داوود بن سليمان بن داوود... بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة ابن زيد الشهيد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام الحسينيّ الحِلِّيّ[1]، ولد السيِّد حيدر في الحِلَّة، وينتهي نسبه إلى الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام. كان مولده (١٥) شعبان سنة (١٢٤٦هـ)، الموافق لِسنة (١٨٣٠م)، وقبل أن يكمل عامه الثاني من عمره، فَقَدَ والده، فعاش يتيمًا وتولَّى تربيته عمُّه السيِّد مهدي، وكانت وفاته بالحِلَّة يوم التاسع من ربيع الثاني، وحُمِل إلى النجف فدُفِن في الصحن الشريف أمام الرأس الشريف[2]. لهُ ديوان سمَّاه الدُّرَّ اليتيم في بومبي، وهو مطبوع على الحجر، وكتاب العقد المفصَّل في نعت قبيلة المجد المؤثَّل، وهو مطبوع أَيضًا، وكتاب الأَشجان في مراثي خير إنسان، هذا الكتاب ما يزال مخطوطًا، وكتاب دمية القصر في شعراء العصر، وهذا الكتاب أَيضًا ما يزال مخطوطًا، وتُعدُّ حوليَّاته في الإمام الحسين عليه السلام أشهر شعره[3].

(١) السيِّد محسن الأمين، أعيان الشيعة، حَقَّقهُ وأخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م: ٦/ ٢٦٦.

(٢) جواد شبَّر، أدب الطفِّ أو شعراء الحسين عليه السلام، ط١، مؤسَّسة التاريخ، بيروت، ٢٠٠١م: ٨/ ٨.

(٣) خير الدِّين الزركليّ، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م: ٢/ ٢٩٠.

ويقول عنه الدكتور الشيخ أحمد الوائليّ (عليه الرَّحمة): «يظلُّ شعر السيِّد حيدر الأُفق الَّذي تحتدم أَجواؤه بما لا يسع البيان تصوُّره مِن الأَبعاد الملتهبة»[1]. ويقول عنه صاحب كتاب أعيان الشيعة أَنَّهُ كان لغويًّا عارفًا بالعربيَّة، شهمًا أديبًا، وقورًا تقيًّا، عليه سمات العلماء الأبرار، كثير العبادة والنوافل، كريم الطبع[2]. كان له ولأسرته دور بارز في أدب مدينة الحِلَّة وشعرائها، ويقول الشيخ اليعقوبيّ عنه: كان أبيَّ النفس، واسع الجاه، عظيم القدر[3]، شعره حسن، ترفَّع به عن المدح والاستجداء، وكان موصوفًا بالسخاء[4]، وكان شاعرًا بارعًا غير منازع، وأَديبًا أَريبًا لم يدافع، وكان ذا إلمامٍ بالعربيَّة، مصنِّفًا، ضمَّ إلى الأدب نسكًا وتقوى[5]، وكان يتمتَّع بمكانة سامية في الأوساط العلميَّة والأدبيَّة[6].

وممَّا لا غبار عليه، أَنَّ الشاعر تأثَّر بعبقريَّة الشاعِرَين الشريف الرضيّ، ومهيار الديلميّ، لذا كانت للشاعر صلة وطيدة بالشاعِرَين الرضيِّ ومهيار، وأنَّ لهما تأثيرًا قويًّا على شاعريَّته؛ وذلك لأنَّه درس شعر الرضيّ دراسة تحليليَّة، وَدوَّن معظم قصائده والمختار من ديوانه في مجاميعه الأدبيَّة، ونسخ ديوان مهيار بكامله في أربعة أجزاء بالقطع الكبير، كتبه وهو ابن ٢٥ سنة، وكتب في آخره: تمَّ الجزء الرابع من ديوان

(١) السيِّد حيدر الحِلِّيّ، الديوان، تحقيق الخاقانيّ، ط٢، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤م: ١/ ١٢.

(٢) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٦٦.

(٣) الشيخ محمَّد عليّ اليعقوبيّ، شعراء الحِلَّة أو البابليَّات، مطبعة الزهراء، النجف الأَشرف، بلاتا: ٢/ ١٥٥.

(٤) الزركليّ، المصدر السابق: ٢/ ٢٩٠.

(٥) الشيخ محمَّد السماويّ، الطليعة من شعراء الشيعة، حَقَّقَهُ كامل سلمان الجبُّوريّ، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت، ٢٠٠١م: ١/ ٢٩٧.

(٦) اليعقوبيّ، المصدر السابق: ٢/ ١٥٥.

مهيار الديلميّ على يد المحتاج إلى ربِّه الغنيّ حيدر بن سليمان الحسينيّ يوم الاثنين، وهو اليوم السابع عشر من شوَّال ١٢٧١هـ.

ومن ثمَّ تجده قد ألـمَّ بكثير من معاني الشريف ومهيار، وأودعها في قصائده بقوالب من الألفاظ ربَّما تكون أحيانًا أقوى وأجزل من الأصل[١].

السـيِّد حيدر الحِلِّيّ هُوَ مِن مفاخر شعراء العراق وكبار شعرائه في العصر الحديث، فإنَّـهُ خطيب مفـوَّه وأديب كبير، ويمتلـكُ ثقافةً متنوِّعة، ومُتضلِّـع في الفقه والأصول والأدب العربيّ. وممَّا يُلفت النظر هُوَ أنَّ الشعر في هذه المدَّة، وبِالتحديد في مدينة الحِلَّة، لم يكن مقصورًا على طبقة خاصَّة مِن المجتمع، ممَّا تمخَّض عن ظهور العديد من الشعراء الذين كانوا بِالأصل كبار الفقهاء والعلماء في هذه الحقبة الزمنيَّة.

هيمنـت على شـعره العاطفـة الدينيَّة، فاتَّخذ مـن أعلام المذهـب وتاريخه مصدرًا يسـتقي منـه الموضـوع والفكـرة والصـورة والسـياق والمعنـى، ويحـرص عـلى إيراد مصطلحاتـه ومواقفـه عـبر التاريـخ. قصيدته في رثاء ولده تكشـف عن مـدى اتِّكائه عـلى الشـعر القديـم، ومع مـا فيها مـن لوعة، فإنَّهـا لم تتغلَّب عـلى التصنُّـع البادي في تفاصيلها[٢].

يجـب ألَّا ننسـى بِأنَّ الشـاعر أصلُهُ مِن الحِلَّـة، وكانت النجف وما تـزال مِن أَهم مراكز الشيعة على صعيد العلم والأدب والثقافة. فكان لِلشاعر السيِّد حيدر الحلِّيّ دورٌ مهـمٌّ وإيجابيّ في نُهـوض الأدب الملتزم في هـــذه الحقبة، فإنَّهُ دافَعَ عن العقائد الشـيعيَّة

(١) شبَّر، المصدر السابق: ٨/ ١٥.

(٢) عبد العزيز سـعود بابطين، شـعراء الحِلَّة في معجم البابطين لشـعراء العربيَّة في القرنَين التاسع عـشر والعشرين، جمعهُ وعلَّـق عليه مهدي عبدالأمير مفتـن الكطرانيّ، مركز بابل للدراسـات الحضاريَّة والثقافيَّة، بابل، بلاتا: ١١٢.

وأفكارهم، وتجلَّى هـذا الأمر مِن خِلال أَشعاره ومعانيه الشعريَّة التي هي في مدح أَهل بيت النبوَّة عليهم السلام ورثائهم وذكر فضائلهم.

شـبَّ السـيِّد حيدر الحلِّيّ شاعرًا مجيدًا، ثمَّ صار أشهرَ شـعراءِ عصرِهِ، وأديبًا ناثرًا، وكاتبًا مترسِّـلًا، فتألَّق نجمه الأدبي أكثرَ في الشـعر ولا سيما في رثاءِ الإمام الحسين عليه السلام، وكـان لغويًّا عارفًـا باللغة متضلِّعًا فيها، وقـورًا ورعًا تقيًّا، عليه سـيماءُ العلماء الأبرار، وكان كثيرَ العبادة من الفرائض والنوافل، كريم الطبع.

انتـشر شـعره في حياته، وبقـى خالدًا متألِّقًـا بعد مماتـه، يتناقله الأدباء مـن النقَّاد وغيرهـم وتَـرَدّدهُ المنابـر فيلقـى استحسـان المتلقـين وإعجابَهـم. قـال الشـيخ محمَّد السـماويّ رحمة الله عليه: أخبرني العلَّامة السـيِّد حسـن بن العلَّامة السيِّد هادي الصدر (ت ١٣٥٤ هـ)، قـال: أخبرني السـيِّد حيـدر الحِلِّيّ قائـلًا: كنت بصدد إعـداد قصيدة لـ(محرَّم)، وقد شـغلني التفكير بإعدادها واختيـار مطلعها، ثمَّ آويت إلى فراشي فرأيت فيما يرى النائم السيِّدة فاطمة الزهراء عليها السلام فأتيت إليها مسلِّمًا عليها، مُقبِّلًا يديها، فالتفتت إليَّ وقالت[1]:

«أَنـاعِـيَ قَتلى الـطَّفِّ لا زِلـتَ ناعِيا
تُهـيـجُ عـلى طـولِ الـلَّـيـالي البَـواكِـيـا
أَعِـدْ ذِكـرَهُـم فِي كَـربَـلا إِنَّ ذِكـرَهُـم
طَـوَى جَـزَعًـا طَـيَّ الـسِّـجِـلِّ فُـؤَادِيَـا»

فانتبهت باكيًا متأثِّرًا وأنا أحفظ البيتَين وأردِّدهما؛ فكتبتهما وجعلت أعيدهما ماشـيًا في بَهو منزلي حتَّى فتح الله عليَّ، فقلت منشدًا[2]:

(١) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٦٦؛ شبَّر، المصدر السابق: ٨/ ٨.
(٢) المصدر نفسه.

«وَدعْ مُقلتي تحمرُّ بعد ابيضاضها
بِعَدِّ رزايا تترك الدمع دامياً»

وهذه القصيدة مِن غرر قصائده، وفيها يقول[1]:

«وَممَّا يزيل القلب عن مُستَقرِّه
ويترك زند الغيظ في الصدر وارياً
وقوفُ بناتِ الوحيِّ عندَ طليقِها
بحالٍ به يُشجين حتَّى الأعاديا
أبا حسنٍ حربٌ تقاضتك دينها
إلى أن أساءت في بنيكَ التقاضيا»

إلى تمام القصيدة المثبتة في الديوان. وكانت هذه القصيدة من بعدُ من أحبِّ قصائدِهِ إليهِ، حتَّى أوصى أن تُكتبَ وتُوضعَ في كفنِهَ بعدَ موته[2]، ومن أجل هذا كان يقول: كلُّ شعري لي إلَّا بَيتَين، هما لفاطمة الزَّهراء عليها السلام، مشيرًا إلى البيتَين المذكورَين في صدر هذه القصيدة.

وفي وصف منزله الخاص بسكنِهِ، وسكن أُسرته، فلهذا المنزل دارٌ متَّصلة بِه، يستقبل فيها ضيوفه، كعادة آبائه وأجداده، وهي دارٌ واسعةٌ جدًّا متَّصلة بمسجد أبي حواض، ولها باب على المسجد، كما لها باب على منزله الخاص، الذي ورثه من بعده ولده السيِّد حسين، ثمَّ السيِّد عبَّاس بن السيِّد حسين، وبجوارها دار عمِّه السيِّد مهدي التي آلت إلى حفيده الشاعر السيِّد عبد المطلب الحِلِّيّ، والدار التي كان السيِّد حيدر يستقبل فيها ضيوفه كانت تستقبل مواكب الحِلَّة بمحلَّاتِها التِّسع التي تحضر في داره في شهر

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١١٥.
(٢) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٦٦، بابطين، المصدر السابق: ٢/ ١٥٦.

محرَّم الحرام؛ لإقامة العزاء في ذكرى استشهاد الإمام الحسين بن عليّ عليه السلام، واستمرَّت هذه الحال في حياة ولده السيِّد حسين بن السيِّد حيدر الحِلِّيّ (ت ١٣٣٩هـ).

تفوَّق السيِّد حيدر الحلِّيّ على شعراء عصره، وبقي شعره موضع إعجاب المتلقِّين وإكبارهم، وصار من المتسالم عليه أَنَّ شعره بلغ حدَّ الإعجاز، حتَّى عَدَّهُ العلَّامة السيِّد محمَّد القزوينيّ (ت ١٣٣٥هـ) أشعر الشعراء الطالبيِّين[١]. وقال له السيِّد مرزا صالح القزوينيّ: إنَّ رثاءك يجبِّب إلينا الموت[٢]. وَوصفه الشيخ حسين النوري بأَنَّه إمام شعراء العراق، بل سيِّد الشعراء في الندب والمراثي على الإطلاق، وخِرِّيتُ صِناعَةِ الشعر[٣].

وترجم له أصحاب التراجم، فقد ذكره الشيخ علي كاشف الغطاء في الحصون المنيعة، والشيخ محمَّد السماويّ في الطليعة والسيِّد محسن الأمين في أعيان الشيعة[٤]، والشيخ آغا بزرك الطهرانيّ في الذريعة[٥]، وقال عنه الشيخ حسين النوريّ: «السيِّد الصالح الصَّفيّ، إمام شعراء العراق، بل سيِّد الشعراء في الندب والمراثي على الإطلاق السيِّد حيدر بن السيِّد سليمان الحلِّيّ، فقد جمع أَيَّده الله بين فصاحة اللسان وبلاغة البيان وشدة التقوى وقوة الإيمان بحيث لو يراه أحد لا يتوهم في حقِّه القدرة على النظم، فكيف بأعلى مرثيَّة، وهو خِرِّيتُ صِناعَةِ الشعر الأديب اللبيب فخر الطالبيِّين وناموس العلويِّين»[٦].

(١) محمَّد مهدي البصير، نَهضة العراق الأدبيَّة في القرن التاسع عشر، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٦م: ٤٢.
(٢) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠.
(٣) الشيخ حسين النوريّ، جنَّة المأوى، ط٢، مؤسَّسة الوفاء، بيروت، ١٣٠٤هـ: ٣/ ٢٩٠.
(٤) الأمين، المصدر السابق: ٦/ ٢٧٠-٢٦٦.
(٥) آقا بزرك الطهرانيّ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣هـ: ٨/ ٨٧، ٩/ ٢٦٩.
(٦) النوريّ، المصدر السابق: ٣/ ٢٩٠.

وَقال عنه الزركليّ: «السيِّد حيدر الحِلِّيّ شاعر أهل البيت في العراق... ترفَّعَ عن المدحِ والاستجداء، وكان موصوفًا بالسخاء، له ديوان اسمه الدرُّ اليتيم، وأشهر شعره حوليَّاته في الحسين عليه السلام»[1].

وترجم له الدكتور محمَّد مهدي البصير في نَهضة العراق الأدبيَّة في القرن التاسع عشر[2]، والشيخ محمَّد عليّ اليعقوبيّ في البابليَّات[3]، والشيخ عليّ الخاقانيّ في شعراء الحِلَّة[4]، وترجم له عبد الرزَّاق البيطار[5]، وذكره الشيخ الأمينيّ في موسوعة الغدير[6]، وذكره الدكتور يوسف عزِّ الدين في كتابه الشعر العراقيّ في القرن التاسع عشر خصائصه وأهدافه[7]، والأستاذ إبراهيم الوائليّ في كتابه: الشعر السياسيّ العراقيّ[8]، وترجم له الدكتور جواد علوش في كتابه أدباء حِلِّيُّون[9]، وكتبت عنه المجلَّات والصحف، منها مجلَّة البيان النجفيَّة، والآداب البيروتيَّة، ومجلَّة كليَّة بير زيت في الأردن (الغدير)، ومجلَّة النجف والعرفان والمنبر والديوان، وجُمع ديوان شعره وطُبع عدَّة مرَّات. وعُقِدَ له مؤتمر

(١) الزركليّ، المصدر السابق: ١/ ٢٨١.
(٢) البصير، المصدر السابق: ٤٠.
(٣) بابطين، المصدر السابق: ٢/ ١٥٣.
(٤) عليّ الخاقانيّ، شعراء الحِلَّة، مطبعة الزَّهراء، بغداد، ١٩٥٣م: ٢/ ٤٣.
(٥) عبد الرزاق حسن بيطار، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار الصادر، بيروت، ١٤١٣هـ: ١/ ٥٦٦.
(٦) عبدالحسين الأمينيّ، موسوعة الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، ط٣، مؤسَّسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم المقدَّسة، ١٤٣١هـ: ٢/ ٢٣.
(٧) عزّ الدين يوسف، الشعر العراقيّ في القرن التاسع عشر خصائصه وأهدافه، الدار القوميَّة، القاهرة، ١٩٦٥م: ٦٢-٦١.
(٨) إبراهيم الوائليّ، الشعر السياسيّ العراقيّ في القرن التاسع عشر، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٨م: ٢٢٠.
(٩) جواد أحمد علوش، أُدباء حِلِّيُّون، ط١، مكتبة الفكر الجامعيّ، بيروت، ١٩٧٨م: ٢١٧-٢٠٩.

في طهران في اليوم الثامن من ربيع الثاني عام (١٤١٢هـ/ ١٩٩١م). وَوصف الدكتور أحمد الوائليّ السيِّد حيدر الحِلِّيّ بأنَّه استأثر بقصب السبق، وتميَّز ببصمات أعطت شعره وجهًا خاصًّا، ونبرةً لا تخطئها الأُذن إذا سمعتها[١]، وقال: وبحكم طول مسيرتي في الخطابة، فقد وعيت مئات النصوص، ولكنَّ شعر السيِّد حيدر يظلُّ الأُفق الذي تحتدم أجواؤه بما لا يسع البيان تصويره[٢]، وقال: إنَّ الجملة عنده مركَّبة من مفردات مكهربة، تحسُّ بحرارتِها وأنت تقرؤها[٣].

وَكان لتفوُّق السيِّد حيدر في مجال الأدب عوامل عديدة أخرى، وهي:

١. تلمذته على عمِّه السيِّد مهدي السيِّد داوود الحِلِّيّ، وكان عمُّه من كبار شعراء عصره، له ديوان ضخم يقع في جزأين، فكان يجمع شعر عمِّه ويحفظه ويرويه فكان راوية شعر عمِّه المهدي.

٢. البيئة التي نبغ فيها، فقد كانت الحِلَّة في المدَّة التي عاش فيها الشاعر زاخرة بالأدباء والشعراء، ينشد الشعر في مدارسها ومجالسها الأدبيَّة، وكان يحضر هذه المجالس، ويعي في صدره ما يسمع، ثمَّ يدوِّن ويجمع.

٣. أسرته العلميَّة الأدبيَّة، فقد كان عمُّه وشيخه المهدي من كبار الشعراء، وكان أبوه سليمان شاعرًا، وجدُّه داوود كان شاعرًا، وكان جدُّ أبيه سليمان الكبير شاعرًا، وعمُّ جدِّه الحسين بن سليمان المعروف بالحكيم كان شاعرًا، وفي أسرته عدد كبير من الشعراء، فقد نشأ في أسرة شاعرة.

(١) أحمد الوائليّ، تجاربي مع المنبر، ط١، دار الزهراء، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م: ٢٢٨.
(٢) المصدر نفسه: ٢٣١.
(٣) المصدر نفسه: ٢٣٦.

٤. جَـمْعُهُ بخطِّه شعرَ عدد من كبار الشعراء، فقد كانت له مجاميع أدبيَّة يجمع فيها المختار من جيِّد الشعر لكبار الشعراء، ودرس شعر عدد منهم دراسة تحليليَّة، أمثـال أبي تمَّام (ت ٢٣١هـ)، والبحتريّ (ت ٢٤٨هـ)، والمتنبِّي (ت ٣٥٤هـ)، وابن هاني الأندلسيّ (ت ٣٦١هـ)، والشريف الرضيّ (ت ٤٠٦هـ)، والشريف المرتضى (ت ٤٣٦هـ)، والمهيار الديلميّ (ت ٤٢٦هـ).

٥. صراعه مع كبار شـعراء عصره، من أمثال عبد الباقـي العمريّ، وعبد الغفَّار الأخرس، والسـيِّد محمَّد سعيد الحبُّوبيّ، وكانت الحركة الأدبيَّة قائمة آنذاك في بغداد والحِلَّة والنجف وسامراء والكاظميَّة، وكلَّما ظهرت رائعة للسيِّد حيدر قُرِئَتْ في مجالس هذه المدن وكلَّما ظهرت خريدة للسـيِّد محمَّد سعيد الحبُّوبيّ أو لعبد الباقي العمريّ ولغيرهما، أُنشدت في هذه المجال.

وكان السيِّد حيدر الحِلِّيّ حاضرًا، فلمَّا رأى الإعراض عنها، التفت إلى الـمُنشد، وقال له: على رَسـلِكَ! التفت إلى الشاعر الشيخ عبد المحسن الخضريّ، وقال له: إذا كان هؤلاء خشبًا مسندة، أنت ما أخرسك عن الحقِّ؟! فلم يجد الشاعر الشيخ عبد المحسن الخضري إلَّا أن يرتجل البيتَين الآتيَين[1]:

«ميَّـزتـني بـالـعـتـب بـين مـعـاشرٍ
سـمـعـوا ومـا حـيٌّ سـواي بسامع
أَخرَسْتَني وتقول ما لك صامتًا؟
وأَمَـتَّـنـي وتـقـول مـا لـك لا تعي»

ثمَّ اعترفَ أنَّ الإعراض عن القصيدة كان مقصودًا، واستعيدت القصيدة من أوَّلها.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٩.

٦. الشعور بالظلم والدعوة إلى الثورة على من سَفَك دماء آبائه وأجداده في الطفِّ، فهو يرثي جدَّه الحسين عليه السلام بأُسلوب الثائر الأروع الموتور، الذي رأى أنَّ أسرته بزعامة جدِّه أبي عبد الله الحسين السبط الشهيد تُباد على أيدي وحوش البشر في يومٍ واحدٍ، فلم يهدأ له بال.

وَفي كلِّ عام يجدِّد له المحرَّم الأحزان والأشجان، وإنَّ الشجي يبعث الشجي، فيصرُّ على تسجيل هذه الفاجعة بقصيدة حوليَّة يفجِّر فيها كلَّ آلامه وأوجاعه وأحاسيسه الملتهبة، حتَّى كتب ثلاثًا وعشرين حوليَّة غير المقطَّعات، وكان لا يفوته أن يسجِّل في شعره عيوب بني أميَّة ومثالبهم، قاتلي جدِّه الحسين عليه السلام، ومنتهكي حُرمته، ويفضح تاريخهم بأنواع من القول تجاوز حدَّ التصوُّر، وسنذكر نماذج منه قريبًا.

المبحث الثاني

أَهم جوانب النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ

سنسلِّط الضوء في هذا المبحث على النزعة الإنسانيَّة في شعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ، وتشتمل على هذه العناوين، منها: الحميَّة، والحريَّة، والحلم، والشجاعة، والشهامة، والكرم، والهمَّة، والإباء.

أَوَّلًا: الحميَّة والغيرة

ذكر علماء الأَخلاق في تعريف الغيرة أَنَّ الغيرة والحميَّة تعني السعي في حفظ ما يكون حفظه ضروريًّا، وهذه الصفة في إطارها المطلوب تنشأ من الشجاعة وكرامة الإنسان وقوَّة نفسه.

ويمكن تقسيم الغيرة على قسمَين:

١. **الغيرة الإنسانية**: فإنَّ النفس الإنسانية، وبسبب ميولها وَرغباتها، تسعى للدفاع عن بعض الأُمور والحفاظ عليها أمام الآخرين أو المنافسين. إنَّ هذا الحفظ والدفاع هو معنى الغيرة. وَتختلف هذه الغيرة في الناس بحسب نوع التربية والتعليم والأذواق والبيئة و...، فقد تظهر أحيانًا بشكلٍ إيجابيٍّ، وأحيانًا بشكلٍ سلبيّ. ومن المصاديق البارزة لهذه الغيرة هي الغيرة الوطنيَّة.

٢. **الغيرة الدينيَّة**: تعني هذه الغيرة كون الإنسان المسلم حسَّاسًا بالنسبة إلى كيان الإسلام وما يتعلَّق به، ويسعى بكلِّ قدرته لإثباته وتنفيذه وحمايته من

أي اعتداءٍ وتجاوز. وعلى هذا الأساس فإنَّ الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحقِّ والصبر والتعليم والتعلم و... يمكن إدراجها في إطار الغيرة الدينيَّة. وقد كان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله النموذج والأُسوة البارزة لهذه الغيرة، وقد سار على هذا المنوال الأئمَّة عليهم السلام الذين صبُّوا جهودهم، ودفعوا بكلِّ ما يملكون من أجل إقامة الدين الإلهيّ، واستحكام قواعده.

وَهي إحدى الملكات النفسانيَّة الشريفة[1]. وَتعدُّ الغيرة، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، مِن جملة الصفات التي يُمتدَح عليها الإنسان، بل ورد في الأَحاديث وصف الله تعالى بالغيور[2].

وَواقعة عاشوراء أيضًا هي نموذج آخر من الغيرة الدينيَّة، فقد أدرك الإمام الحسين عليه السلام هذه الحقيقة، وسعى لإحياء دين الله بالتضحية بدمه في هذا السبيل، والحقيقة هي أنَّ سبب خلود واقعة كربلاء وعظمتها يكمن في تضحية الإمام الحسين عليه السلام بكلِّ ما يملك في سبيل الله، وَالرِّضا بقتل رجاله وسبي نسائه، ولأجل هذه الغيرة الدينيَّة رضيت أسرة الإمام عليه السلام أيضًا بتحمُّل مشاقِّ الأَسْر ومصائبه وآلامه، والتي قالت عنها السيِّدة زينب عليها السلام: «**ما رأيت إلَّا جميلًا**»[3].

وَأمَّا شاعرنا السيِّد حيدر الحِلِّيّ فيذكر الحميَّة الدينيَّة في الأبيات الآتية بهذا الشكل، إذ يقول[4]:

(١) مهدي النراقيّ، جامع السعادات، ط٤، مؤسَّسة الأعلمي، بيروت، بلاتا: ١/ ٣٠١.
(٢) محمَّد بن يعقوب الكلينيّ، الكافي، تصحيح عليّ أكبر غفاري، ط٤، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٦٥ش: ٥/ ٥٣٥.
(٣) السيِّد عليّ بن موسى بن طاووس، اللهوف على قتلى الطفوف، منشورات جهان، طهران، ١٣٤٨ش: ١٦٥.
(٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٤.

«مـــاذا الـقـعـود وفي الأُنـــوفِ حميَّةٌ
تـأبـى المـذلَّـةَ والـقـلـوبُ حِـــرارُ
قـومـي الأُولى عـقـدت قِـدمًـا مـآزرهـم
على الحميَّة ما ضيموا ولا اهتضموا»

في هـذه الأبيـات إشـارة إلـى أنَّ أصحاب الحميَّـة نفوسـهم تأبى المذلَّـة، لذلك يُرغِّبهـم الشـاعر في القيام ضدَّ الذلِّ؛ لأنَّهم ذوات حميَّة، وقلوبهم حرار، أي ليسـوا مِن الرقيق، بل إنَّهم أحرار، واسـتخدم الشـاعر هذه المفردة في مكـان ثانٍ وثالث للترغيب والعتاب.

في الشطر الأَول من البيت الأَوَّل هناك سؤال استنكاري، أي انكار القعود الفاسد والباطل. ما لنـا والقعود وَفي أُنوفنا الحميَّة، دلالة على أوج الحميَّة الصحيحة في مقابل الحميَّـة المحكومـة في القرآن في قوله تعالـى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾[1]، حتَّـى يخـرج بهذه الحميَّة تأبـى المذلَّة وعدم قبولها اسـتدلالًا بقول المولى أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه منشدًا[2]:

«نـحـن الـكـرام بـنـو الـكـرا م وطـفـلـنـا في المـهـد يكـنى
إنَّـــا إذا قـــعـــدَ الـلـئـا م عـلـى بـسـاط الـعـزِّ قُـمـنـا»

وَأيضًا يقول في هذا المضمار[3]:

«الله يـا هـاشـــم أيـــن الحـمـــى
أيـن الحـفـاظ الـــمـرُّ؟ أيـن الإبـا؟»

(١) سورة الفتح: الآية ٢٦.
(٢) فرحات، المصدر السابق: ٥٦.
(٣) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٦.

ويبقى شاعرنا يثير الهمم ويستنهضها، ويطلب من يأخذ معه الثأر من الظالمين، بعد أن نفد الصبر، وطفح الكأس، وبلغ السيل الزبى، فلا هوادة مع الظالمين، ولا بُدَّ من الثورة عليهم، وأخذ الثأر للدماء التي سُفكت، والخدور التي نُهِبَتْ، والأطفال المروَّعة المذعورة، ويلتفت إلى قومه الشجعان الأبطال ويسأل: أين هم؟ وماذا جرى لهم؟، فيقول الشاعر[1]:

«قومي الأُولى عقدت قِدمًا مآزرهم
على الحميَّة ما ضيموا ولا اهتضموا
قف منهمُ موقفًا تغلى القلوبُ به
منفورة العتب واسأل ما لذيبهم؟
جفَّتْ عزائم فهر أم ترى بردتْ
منها الحميَّة أم هل ماتتِ الشيمُ؟»

ثانيًا: الحريَّة

الحريَّة هي فكر وتصوُّر مرتبط بالروح الإنسانيَّة، وهي غذاؤها الحقيقيّ، فلا يوجد أثمن وأعز للإنسان من حريَّته المرتبطة بالثورة والتغيير، ومن ثمَّ الإبداع، فحديث الحريَّة في القرآن الكريم، وفي الأحاديث، وفي الفقه الإسلاميّ متواتر، بل فوق التواتر. قال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝٢١ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[3]، وفي آية أُخرى: ﴿إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[4]، وفي

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٦.
(٢) سورة الغاشية: الآية ٢١-٢٢.
(٣) سورة ق: الآية ٤٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

آيـة خامسـة، قـال سـبحانه: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[1]، وفي حديـث عـن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللهُ حُرًّا»[2].

وقال الإمام الحسين عليه السلام للحرِّ بن يزيد الرياحيّ: «أنت الحرُّ كما سمَّتك أمُّك، وأنَّت الحرُّ في الدنيا وفي الآخرة»[3]. بل إنَّ الإسـلام إذا رأى الإنسـانَ لا يقبـلُ الحريَّة المطلقة في الآخـرة، يطلب منـهُ أن يكون حرًّا في الدنيا، فقال: قال الإمام الحسـين عليه السلام: لمن جاء لمحاربتـه: «إن لم يكـن لكم دين، وكنتم لا تخافون المعاد، فكونـوا أحرارًا في دنياكم»[4].

وقال عبد الله بن سنان، سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كان الإمام عليّ عليه السلام يقول: الناس كلُّهم أحرار إلَّا من أقرَّ على نفسه بالعبوديَّة، وهو مُدرك من عَبد أو أمة، ومن شهد عليه بالرقِّ صغيرًا كان أو كبيرًا[5].

الإمام الحسـين عليه السلام خير مُعبِّرٍ عن روح المجتمع الإسـلاميّ؛ لما له من قدسيَّة دينيَّة واجتماعيَّة وسياسـيَّة، فقد اسـتطاع بانتصاره للحريَّة من تأسيس بُعدٍ ثوريٍّ إنسانيٍّ ضدَّ كلِّ أنواع الظلم والاسـتبداد في جوانـب الحياة كافَّة، وذلك بالتضحيات الجِسـام التي بذلها دفاعًا عن السـلام والحرية، إذ ضحَّى بدمـه الشريف مع أصحابه وأهل بيته عليهم السلام، وعرَّض نسـاءه للسـبي على يدِّ القوم الظالمين، فالحرية عند الإمام الحسـين عليه السلام وسـيلة لتحقيق أهداف إنسـانيَّة سـامية عن طريق الشـهادة في سـبيل الحريَّة، تعطي الإنسـان دافعًا للتحرُّر والكرامة. يقول المفكر المغربيّ عبد الله العراوج: «لا يجب أن نسـأل إنسانًا

(١) سورة الكافرون: الآية ٦.
(٢) محمَّد عبدة، شرح نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، بلاتا: ٣/ ٥١.
(٣) محمَّد باقر المجلسي، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ: ٤١/ ١٤.
(٤) المصدر نفسه، ٤١/ ٥١.
(٥) محمَّد بن الحسـن، الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، دار نشر آل البيت عليهم السلام، قم المقدَّسة، ١٤١٤هـ: ١٦/ ٣٣.

مـا هي الحريَّة؟ بل كيف تفهـم أو تتصوَّر الحريَّة». فالحرية هـي أن تحقِّق أهدافك التي تـودُّ تأكيدهـا في الواقع، فذلك هو الدافع الحقيقيّ للإمام الحسـين عليه السلام لرفع شـعارات الحريَّة.

فالخـلاف بين الإمام الحسـين عليه السلام وبـين أعدائه لم يَدُر على الصراع حول سـلطةٍ أو مكسـبٍ شـخصيٍّ أو مزاجٍ خاصٍّ، وإنَّما كان حول مبادئ خالـدة لا تتطرَّق إليها رغبة جامحـة، ولا تشـين نقاءها نـزوة هوجاء، فاستشـهاده عليه السلام كان فلسـفة للعيـش بحريَّة وكرامـة، وبُعـدًا روحيًّـا عاليًا للحريَّة، فشـعارات الإمام الحسـين عليه السلام، كلُّهـا تؤكِّد أن لا حياة بدون الحرية، وأنَّنا أمام الله سواسية.

وَأمَّا شـاعرنا السـيِّد حيدر الحِـلِّيّ، فقد جاء بذكـر هذه القيمة في أبياته، ورسـمها بأحسن صورة، إذ قال[1]:

«وَإذا تَرَجَّلَتِ الضُحى شَهِدَتْ لَهُمْ
بِيْضُ الـقَـواضِـبِ أَنَّـهُـمْ أحـرارُ»

أشار الشاعر إلى أنَّ لمعان السيوف في النهار وأيضًا في الضحى؛ لشدَّة نور الشمس، وكثرة لمعان السـيوف، شـهادة على حريَّة من رفعها ضدَّ الظلـم والجَور؛ لأنَّ في البيت السابق كان الحديث حول العباد الخُشَّع[2]:

«سـمـة الـعـبـيـد مِـن الخـشـوع عليهم
للهِ أن ضـمَّـتـهـم الأسـحـار»

ومن المعلوم أنَّ العباد الخشَّع لا يرفعون القواصب إلَّا ضدَّ الظلم والجور، والقيام ضدَّ الظلم والجَور من علائم الأحرار.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٤.
(٢) المصدر نفسه: ١/ ٨٤.

ثالثًا: الحلم والصَّفح

خلق من أخلاق الإسلام العظيمة، يتمثَّل في تربُّث الإنسان وتثبُّته في الأمر، ويعني الأناة وضبط النفس[١]، وهو ضبط إرادي للانفعال في مواجهة إساءات الآخرين، ابتغاء وجه الله، وهذا الضبط الإرادي يعطي الحليم الفرصة للتفكير الهادئ والتقدير السديد لتلك الإساءات، فيقرِّر بطريقة سليمة خلقيًّا ودينيًّا أن يقابلها بمثلها، أو يعفو عنها، وهكذا يكفل الحلم لصاحبه البقاء ضمن إطار القانون والفضيلة، ويجنِّبه تجاوزهما. أمَّا الخير الذي يجنيه الغير من حلم الحليم، فهو الأمن من الظلم أو انتهاك الفضيلة والقانون بالاعتداء أو بالعقاب المخالف لهما، وكذلك يتيح الحلم للآخرين الفرصة لنيل العفو والصفح عن إساءته[٢].

وعندما نتأمل آيات القرآن الكريم التي تعالج الحلم، نجد أنَّها تذكره كصفة لله ﷻ، ثمَّ لأنبيائه، وأنَّها تقرنه غالبًا بالمغفرة. يقول تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتۡ قُلُوبُكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[٣]، وقوله ﷻ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[٤]، وأمر بذلك في عدَّة آيات، كقوله سبحانه: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾[٦]، وقوله: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾[٧]، ويلاحظ أنَّ الصيغة اللغويَّة التي ذكر بها الحلم في القرآن هي الصفة؛ ولكنَّها مع ذلك تشير إلى حثٍّ القرآن على الحلم بطريقة غير مباشرة، فهي صفة رفيعة وصف الله بها ذاته

(١) إبراهيم مصطفى، حسن الزيَّات، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إستانبول، ١٩٨٩م: ١/ ٢٠١.
(٢) محمَّد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠م: ٤/ ٤٢.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٢٥.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.
(٥) سورة النور: الآية ٢٢.
(٦) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.
(٧) سورة الحجر: الآية ٨٥.

تعالى، ثمَّ وصف بها أنبياءه عليهم الصلاة والسلام[1]. إنَّ عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: «إنَّه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»[2].

إنِ اللهَ يُحِبُّ الْحَيِيَّ الْحَلِيمَ[3]، وأنَّه ما أذلَّ بحلم قط[4]، وكفى بالحلم ناصرًا، وهو وزير المرء، وإذا لم تكن حليمًا فتحلَّم[5]، وأنَّ الحليم أقوى الخلق[6].

فضل الحلم والصفح:

بالتأمل في صفة الحلم نجد أنَّها تعود على صاحبها بالخير والسعادة في الدنيا والآخرة، نجمل منها:

١. جعل الله عزَّ وجلَّ الحلم والعفو من صفات المتَّقين الذين يسارعون إلى مغفرة الله، وإلى الجنَّة، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[7].

٢. الحلم يحيل العداوة مودَّة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[8].

(١) إبراهيم أحمد عبدالرحمن، الفضائل الخلقيَّة في الإسلام، دار الوفاء، القاهرة، ١٩٨٩م: ٢٤١.
(٢) الكلينيّ، المصدر السابق: ٢/ ١١٢، المجلسيّ، المصدر السابق: ٧١/ ٤٠٤، الحرُّ العامليّ، المصدر السابق: ١١/ ٢١٠.
(٣) الكلينيّ، المصدر نفسه: ٢/ ١١٢، المجلسيّ، المصدر نفسه: ٧١/ ٤٠٤.
(٤) الكلينيّ، المصدر نفسه: ٢/ ١١٢، الحرُّ العامليّ، المصدر السابق: ١١/ ٢١١.
(٥) المجلسيّ، المصدر السابق: ٧١/ ٤٢٠.
(٦) المصدر نفسه: ٧١/ ٤٠٦.
(٧) سورة آل عمران: الآيات ١٣٣-١٣٤.
(٨) سورة فصِّلت: الآيات ٣٤-٣٥.

٣. جعل الله سبحانه وَتعالى الصفح، والعفو، والحلم من علامات القوَّة، وليس من علامات الضعف والعجز، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾[١].

٤. الحلم من صفات الأنبياء والمرسلين، يقول الله تعالى واصفًا سيِّدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾[٢]، ويقول واصفًا النبيّ إسماعيل عليه السلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾[٣].

وَأمَّا شاعرنا السيِّد حيدر الحِلِّيّ، فَذكر تلك القيمة، وأكمل حديقة أشعاره بها، ومن هذا المنطلق نشير هنا إلى نموذج منها[٤]:

«فَلا وصَفحِكَ إنَّ القومَ ما صَفحُوا
ولا حِلمِكَ إنَّ القَومَ ما حَلموا
فحمل أمك قدمًا أسقطوا حنقًا
وطفل جدِّك في سهم الردى فطموا»

في البيت الأوَّل أشار الشاعر إلى خِصلَتَين من خصال أهل التَّقوى، كما عبر القرآن الكريم عنها، وَهي الصفح والحلم من ضروريَّات المجتمع؛ لضمان أمنه وتعاطف أهله. ومن الملاحَظ بأنَّ في البيت الثاني توجد إشارة واضحة إلى أن الذين أسقطوا حمل الزهراء عليها السلام، والذين رموا عبدالله الرضيع، لم يتَّصفوا بصفات أهل التقوى، وفيه دلالة على عدم قبولهم للإسلام؛ لأنَّ الإسلام دين الرحمة والشفقة.

(١) سورة الشورى: الآية ٤٣.
(٢) سورة هود: الآية ٧٥.
(٣) سورة الصَّافَّات: الآية ١٠١.
(٤) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١١٤.

رابعًا: الشجاعة

الشـجاعة خُلق فضيل امتدحه العرب قبل الإسلام، وكان الفارس مفخرة لقبيلته وعشيرته، وكان السبب الرئيس لشجاعة العرب أنَّهم دائمًا يستعدُّون للدفاع عن النفس من عدوِّهم، وكانت الغلبة فيهم، يكرمون الشـجاع ويتفاخرون بالشجعان، وينظرون إلى الجبان نظرتهم إلى النسـاء، بل هو دونهنَّ. قال ابن خلدون عن شـجاعة العرب:... وأهـل البـدو لتفرُّدهم عـن المجتمع، وتوحُّشـهم الضواحـي، وبعدهم عـن الحامية، وانتبادهم عن الأسوار والأبواب، قائمون بالمدافعة عن أنفسهم، لا يكلونها إلى سواهم، ولا يثقـون فيها بغيرهم، فهم دائمًا يحملون السـلاح... إلى أن قـال: قد صار لهم البأس خلقًا والشجاعة سجيَّة. وكانوا يتمادحون بالموت قطعًا، ويتهاجون بالموتِ على الفراش، ويقولون فيه: مات فلان حتف أنفه، وعن بعضهم وقد بلغه قتل أخيه: إن يُقتَل فقد قُتِل أبـوه وأخوه وعمُّه، وإنَّا والله لا نموت حتفًا، ولكن قطعًا بأطراف الرماح، وموتًا تحت ظلال السيوف، وقال السمؤال مُنشدًا[1]:

«وَمـا مـاتَ مِـنَّـا سَـيِّـدٌ حَـتـفَ أَنـفِـهِ
وَلا طُـلَّ مِـنَّـا حَـيـثُ كـانَ قَـتـيـلُ
تَـسـيـلُ عَـلى حَـدِّ الـظُّـبـاتِ نُـفـوسُـنـا
وَلَـيـسَـت عَـلى غَـيـرِ الـظُّـبـاتِ تَـسـيـلُ»

ثمَّ إنَّهم لـمَّا أسـلموا لم يتركوا هذه الصفة؛ لأنَّ الإسـلام رحَّب بها وأقرَّها، بحيث ربَّـى القرآنُ الكريم المؤمنين على الشـجاعة، فكانت آياته المنبـع الذي شربت منه الأُمَّة معنـى الشـجاعة وقيمتها، فقـال الله مخاطبًـا الأُمَّة ورسـولها: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ

(١) الراغـب الأصبهانـيّ، محاضرات الأدباء ومحاورات الشـعراء والبلغاء، منشـورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بلاتا: ٢/ ١٤٥.

﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ وَمَن يُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقۡتَلۡ أَوۡ يَغۡلِبۡ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[1]، إنَّ حياة رسول الله ﷺ القوليَّة والعمليَّة كانت أنموذجًا عاليًا في الشجاعة، فعند التأمُّل في سيرة الرسول الأعظم ﷺ نَجدهُ يتعامَل مع كل المواقف والمصاعب بقلبٍ ثابتٍ، وإيمانٍ راسخٍ، وشجاعةٍ نادرة؛ لذلك خاطبه الله قائلًا: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾[2].

وقد كانت هذه الشجاعة خُلقًا فطريًّا مزروعًا في قلب رسول الله ﷺ من نشأته الأولى؛ فها هو ذا يشارك أعمامه في (حرب الْفِجَار)، وهو لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره[3]، ويُعلِّم أُمَّته الشجاعة في كلِّ الميادين، بدايةً من ميدان الكلمة، وانتهاءً بميدان الجهاد في سبيل الله، ومن أعظم هذه الميادين التي يُؤَكِّدها النبيّ ﷺ ميدان مواجهة الظالمين، فيقول: «أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[4]، وهذا هو الحسين عليه السلام ريحانة المصطفى وَوارث الأَخلاق المحمَّديَّة والشجاعة الحيدريَّة وقف بكربلاء مع أصحابه وأهل بيته عليهم السلام بصرامة أمام جلاوزة يزيد (لعنة الله عليهم)، وعلَّموا الأجيال الشجاعة والوقوف ضدَّ الظلم، وَمن هذا المنطلق، تطرَّق أيضًا سيِّدنا الراحل إلى هذه القيمة في أبيات عديدة، جاءت بوصف شجاعة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، ومنها قوله[5]:

(١) سورة النساء: الآية ٧٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٤.

(٣) الفجَّار: حرب وقعت بين قريش وحلفائها وبين هوازن قبل البعثة بعشرين سنة تقريبًا، وكانت في الأَشهر الحرم، فلمَّا قاتلوا فيها قالوا: قد فَجَرْنا. فسُمِّيَتْ فِجارًا. أُنظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩١م: مادة فجر ٥/ ٤٥.

(٤) عليّ بن موسى ابن طاووس، كتاب الملاحم، ط٥، شريف الرضيّ، قم المقدَّسة، ١٩٧٨م: باب الأمر والنهي (٤٣٤٤).

(٥) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٤.

«أســـدٌ تـــردُّ المـــوتَ دهـــشـةُ بـأسـهِ
ولـــه بـــــأرواح الـــكُـــماة عِـــثـــارُ»

يُصوِّر الشاعر شجاعة الإمام الحسين عليه السلام عند لقائه مع الأعداء، فهوَ كالأَسد الذي تجسَّـد الموت في شـدَّة غضبه وبأسه، فَسلب أرواح الشـجعان من أجسادهم حتَّى صار يتعثَّر بالأشلاء من كثرة القتلى، وهذه دلالة على أنَّ الإمام وأصحابه شجعان، أصلابٌ في العقيدة؛ لأنَّ ثبات العقيدة هي أكبر دافع لخوض الصعاب.

وَفي مكان آخر يصوِّر لنا صورة مميَّزة من شجاعة الإمام الحسين عليه السلام، فَيقول[1]:

«يـلـقـى الـكـتـيـبـةَ مـفـردًا
فـتـفـرُّ دامـيـةَ الجِـــرَاحِ
وبِهـامِـهـا اعـتـصَـمَـتْ مَخَـا
فَـةَ بـأسِـاهِ بِـيـضُ الـصِّـفـاحِ
وتـســاتَّـرت مـنـهُ حـيـا
ءً في الحـشـا سـامـر الـرمـاحِ»

أرأيت هذه الصورة الجميلة؟ أرأيت الأسـد يطارد قطعان الماشية، فتحُاول أن تجد لها مهربًا منه، فهربت أمامه دامية الجراح، وهكذا فعل الإمام الحسـين عليه السلام بجيش الكفر الذي كان يقاتله، وكانت السـيوف تعتصم في هامات الرجال خوفًا منه، وسُمر الرماح كانت كالغيد الحِسـان السُّمر خجولة من الحسـين عليه السلام؛ فتستَّرت في أَحشاء الرجال. في الحقيقـة إنَّها صورٌ فريدةٌ من نوعها، عزَّت على الشـعراء مِن قبلـه، فانفردوا باقتناصها. فالسـيِّد حيدر الحلِّيّ كصاحب الجواهر الثمينة الذي يعرف كيف يختار جواهره، وكيف يناسق بينها، وَمن الملاحظ أنَّ الألفاظ لا تنافرَ فيها، ولا تغريب في تناسقها.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٢٨.

خامسًا: الشهامة

الشـهامة اصطلاحًا: عزَّة النفس وحرصها على مباشرة أمور عظيمة تستتبع الذِّكر الجميل[1]، وَوجه الشـهامة في الحديث أَنَّ الرسـول الأعظمﷺ، على الرغم من عداوة قريش وإيذائها للمؤمنين، لـمَّا جاءه أبو سـفيان يطلب منه الاستسقاء، لم يرفض؛ لحسن خلقه وشـهامته ورغبته في هدايتهم، فإنَّ الشـهامة ومكارم الأخلاق مع الأعداء لها أثر كبير في ذهاب العداوة أو تخفيفها.

والشاعر السيِّد حيدر الحِلِّيّ أيضًا يتطرَّق لهذه القيمة في شعره، فَيقول[2]:

«أيـن الشهامة أم أين الحفاظ أما
يـأبى لها شرفُ الأحسـابِ والكـرم»

الشـهامة هي خصلة مـن خصال المؤمنين الذيـن يعتقدون بأنَّ المـوت والحياة بيد الله، أو الذيـن ينظرون إلى الموت بأنَّه خير، وَرابط بـين الدنيا والعالم الثاني، لذلك ترى أهل الشـهامة يخوضون بالموت خوضًا، فالشاعر أَيضًا بدوره يدعو أهل الشهامة وأهل الـشرف والكرم من النـاس، إلى الدفاع عن حرائر النبـيعليه السلام وآل البيتعليهم السلام، وَفي هذه إشـارة إلى أنَّ الذين سَـبوا حرائر آل بيت الرسـولﷺ بعيدون كلَّ البُعد عن الشرف، وَأنَّهم لئام ليسوا بكرام.

سادسًا: الكرم

الكـرم والسـخاء من الصفـات التي كـان يتحلَّى بها كثـير من أهـل الجاهليَّة قبل الإسـلام، ويمتـازون بها، حتَّـى صارت مادَّة يتغنَّى بها الشـعراء، وتصـدح بها حناجر

(١) إبراهيم مصطفى وآخرون، المصدر السابق: ١/ ٤٩٨.
(٢) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٦.

الخطبـاء ويتفاخر بهـا أولاد الكرماء، فعدُّوهـا من مفاخرهم، واعتبروهـا من تراثهم، وعابوا من لم يمتلك تلك السجيَّة، وعدُّوها عليه منقصة ومثلبة، وراحوا أبعد من ذلك، فصـاروا يعيِّرونه، بل إنَّ العار قد يلحق حتَّى ذريَّته ونسـله ما لم يظهر فيهم من يتَّصف بالكـرم والسـخاء؛ ليمحو ما لحقهم مـن البخل والجفاء. ولـمَّا جاء الإسـلام حثَّ على الكرم والسـخاء والضيافة، وأكَّدها في موارد عدَّة، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[1]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾[2].

وكذلك شـجَّع المعصومـون عليهم السلام الناسَ على إكـرام الضيـف، ورغَّبوهم في آداب الضيافـة التي حثَّ الإسـلام عليها، ذلك أنَّ الضيافة والسـخاء من الأمـور التي تزيد الترابط والودَّ بين الناس، وتقوِّي أواصر المحبَّة والأُلفة بين الأصدقاء، وتستلُّ الضغينة إن وجِدت من القلوب، وتبعث على التراحم والعطف وتُرقِّق القلوب وتهذِّب النفوس؛ لمـا فيها من تواضع وتأدُّب واحترام يُظهـره المضيِّف أمام الضيف[3]. وعن النبيّ صلى الله عليه وآله أنَّهُ قـال: «**ليلة الضيف حقٌّ واجبٌ على كلِّ مسـلم، ومن أصبح إن شـاء أخذه، وإن شـاء تركـه، وكلُّ بيـتٍ لا يدخل فيه الضيـف لا تدخله الملائكة**»[4]، وعـن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**ما من مؤمن يسمع بِهمسِ الضيف ويفرح بذلك إلَّا غُفرت له خطاياه، وإن كانت مطبقـة ما بين السـماء والأرض**»[5]، وعن عاصم بن ضمـرة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

(١) سورة هود: الآية ٦٩.
(٢) سورة الذاريات: الآيات ٢٦-٢٤.
(٣) محمَّد بن محمَّد الشعيريّ، جامع الأخبار، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف، بلاتا: ١/ ١٣٥.
(٤) المصدر نفسه: ١/ ١٣٦.
(٥) المصدر نفسه: ١/ ١٥٩.

«مـا من مؤمن يحبُّ الضيـف إلَّا ويقوم من قبره ووجهه كالقمر ليلة البـدر، فَيَنْظُرُ أَهْلُ اَلْجَمْعِ فَيَقُولُونَ: مَا هَذَا إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، فَيَقُولُ مَلَكٌ: هَذَا مُؤْمِنٌ يُحِبُّ اَلضَّيْفَ وَيُكْرِمُ اَلضَّيْفَ وَلاَ سَبِيلَ لَهُ إِلَى أَنْ يدخل الجنة»(١).

وهـذه القيمـة لها دور خاص في مدائح ورثاء السـيِّد حيدر الحِـلِّيّ لآل البيت عليهم السلام، ومن تلك الأبيات قوله(٢):

«وهـم خـيرُ مـن تحـت السـماء بأسرهم

وأكـــرمُ مَـن فـوق الـسَّـماء وأشرفُ»

أشار الشاعر إلى أنَّ بني الزهراء عليها السلام هُم أكرمُ وأشرف أهل الأرض بعد النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنَّ شرفهم يمتدُّ من الرسـول الأكرم صلى الله عليه وآله، وهذا الاتِّصـال هو دليل عقليّ على شرفهم وفضلهم على أهل السـماوات، والدليل على قوله هـذا، الروايات الكثيرة التي نصَّت على أنَّهم هُم العلَّة الغائيَّة للوجود.

سابعًا: الوفاء

الوفاء بالعهد فضيلة من الفضائل التي أكَّدها الإسلام، وحثَّ الناس عليها، وَرغَّب فيها؛ لأنَّ الوفاء من السجايا الكريمة المركوزة في الفطرة السليمة النقيَّة، وحقيقة الوفاء أن تؤدِّي ما التزمت به نحو الله تعالى، ونحو نفسـك، ونحو أهلك وعشيرتك، بل نحو الناس أجمعين، أداءً كاملًا غير منقوص.

أمَّـا فضله: فإنَّ الوفاء وليـد الأمانة، وعنوان الصدق، ودليل الشـجاعة والصبر، وقـوَّة الاحتـمال، وإنَّ الوفـاء لا يوجد إلَّا حيث توجـد الجرأة والصراحة والشـجاعة

(١) محمَّد بن محمَّد الشعيريّ، جامع الأخبار: ١/ ١٣٦.
(٢) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٩٣.

والصبر على ما يكلِّف به؛ فربَّما كلفك الوفاء بالعهد أعزَّ ما تملك.

إنَّ الوفاء خلق عظيم لا يتَّصف به إلَّا العظيم؛ ولذلك وصف الله تبارك وتعالى نفسه بهذا الفضل، بحيث إنَّ الله ﷻ يخبرنا بأنَّه لا يظلم مثقال ذرَّة، فقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[1]، ولقد أثنى الله على رُسله وأنبيائه بالوفاء، يقول الله سبحانه في سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾[2]. ولنا في وفاء إمام المرسلين وأهل بيته الأئمَّة الميامين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أُسوة حسنة، فلقد عُرِفوا صلوات الله عليهم بالوفاء واشتهروا به، ولا يسعنا التطرُّق إلى وفائهم؛ لأنَّ لا مجال لذلك في هذا البحث القصير. ولكن نشير هنا إلى نموذج واحد من وفاء الرسول صلى الله عليه وآله، فقد رويّ أنَّه كانت تأتيه المرأة فيبشُّ في وجهها ويكرمها، وربَّما أعطاها الشاة كلَّها أو يعطيها معظم أعضائها؛ فتقول له عائشة: يا رسول الله! من هذه المرأة؟ أتعرفها؟ فيقول عليه الصلاة والسلام: «**أنَّها كانت تأتينا أيَّام خديجة**، يعني أنَّها من صويحبات خديجة، **وإنَّ حسن العهد من الإيمان**»، ومن أعظم الأدلَّة على وفائه لزوجه خديجة (سلام الله عليها)، ما رُوِي في الصحيح أنَّ عائشة أخذها الحسد من كثرة ذكره لخديجة (سلام الله عليها) وثنائه عليها، فقالت له يومًا: يا رسول الله تقول: (خديجة.. خديجة) هَلْ كانَتْ إلَّا عَجُوزًا، وَقَدْ اَبْدَلَكَ اللهُ خَيْرًا مِنْها؛ فتألَّم لذلك الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وظهر ذلك على وجهه، وقال: «**ما أبدلني الله خيرًا منها**»، ثمَّ جعل يعدِّد ما امتازت به زوجته خديجة على غيرها من المآثر والفضائل، فقال: «**لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وَواستني بمالها إذ حرمني الناس، وَرزقني الله منها الولد؛ فلا والله ما أبدلني الله خيرًا منها**».

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٩.
(٢) سورة النجم: الآيات ٣٧-٣٦.

لقد أوجب الإسلام على معتنقيه الوفاء بالعهد والالتزام به واحترام المواثيق، ونصَّ دستور حياتهم على ذلك في غير آية من آيات القرآن الحكيم، يقول الله تعالى بهذا الصدد: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[2].

وَأمَّا في تاريخ الأدب العربيّ، فإنَّ مُعظم الشعراء أثنوا ثناءً جميلًا على الموفين بعهودهم، وشاعرنا أيضًا قام بتصوير تلك القيمة بشكلٍ جيِّدٍ، إذ قال[3]:

«نَعى الروحُ جبريلٌ بأنَّ ذوي الغدرِ
أراقوا دمَ الموفينَ للهِ بالنذرِ»

جبرائيل عليه السلام نعى من مدحهم الباري في سورة الإنسان، وشهد فيها بأنَّهم أوفوا بالنذر، وهم آل بيت الرسول عليهم السلام، وأخبر بنعيه عليه السلام أنَّ الذين قتلوهم هم أهل الغدر، وهذه إشارة إلى أنْ لا حقَّانيَّة لقاتل الحسين عليه السلام.

ثامنًا: الهمَّة

تُعدُّ الهمَّة من المقومات الأساسيَّة في بناء شخصيَّة الإنسان، وهي من أَهمِّ العوامل الرئيسة في نجاحه في حياته العلميَّة والعمليَّة، وعندما نبحث في حياة الناجحين من العلماء والمبدعين، ومن خلدة التاريخ، نجد أنَّ من أهم أسباب نجاحهم هي همَّتهم العالية، وسعيهم الحثيث نحو التقدُّم والرُّقيّ.

والأمر الجليُّ في أصحاب الهمَّة العالية أنَّ كلَّ شخصٍ منهم يكون إنجازه على قدر همَّته، وطموحه الذي أراد أن يصل إليه، وذلك لحالة التوافق بين النشاط والهدف المرام

(١) سورة النحل: الآية ٩١.
(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.
(٣) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٨٠.

إليه، لهذا نحن بدورنا أردنا أن نبحث أيضًا في هذا الجانب، حتَّى نستطيع أن نحقِّق ما نصبو إليه في حياتنا العمليَّة من طموحات وآمال.

الهمَّة لغةً: وردت كلمة الهمة في كتب اللغة بعدَّة معانٍ، من بينها ما جاء في لسان العرب لابن منظور، إذ يقول: «والهمَّة واحدة الهمم، والمهمَّات من الأمور الشدائد المحرقة»، إلى أن يقول: «وَهمَّ بالشيء يهمُّ همًّا، نواه وأراده وعزم عليه»[1]. وقد عرَّفها الجرجانيّ بقوله: «الهمُّ هو عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خيرٍ أو شرٍّ»[2]، وقال الفيروز آباديّ: «الهمَّة ما همَّ به من أمر ليفعل»[3].

وقد عرفها الجاحظ اصطلاحًا بقوله: «هو استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية، واستحقار ما يجود به الإنسان عند العطيَّة، والاستخفاف بأوساط الأمور، وطلب الغايات، والتهاون بما يملكه، وبذل ما يمكنه لمن يسأله من غير امتنان ولا اعتداد به»[4]، فهي تأتي بقصد العزيمة، وطلب المعالي، وغيرها من المعاني التي تعدُّ لمن عنده أرادة قويَّة وثابتة؛ لتحقيق ما يصبو إليه الإنسان. الإسلام يحثُّ على كلِّ ما هو خير وصلاح للإنسان، وعلوُّ الهمَّة من الجوانب التي أولاها الاهتمام؛ لأنَّها ركيزة عمل الإنسان، ولذلك سنذكر مقتطفات قصيرة في هذا الجانب، فقد ورد في القرآن الكريم عدَّة آيات في هذا المضمار، منها قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[5]،

(١) ابن منظور، المصدر السابق: ١٢/ ٦٢٠.
(٢) عليّ بن محمَّد الجرجانيّ، التعريفات، تحقيق عادل أنور، دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٧م: ٣٢٠.
(٣) محمَّد بن يعقوب مجد الدين الفيروز آباديّ، القاموس المحيط، ط٨، تحقيق محمَّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسَّسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠٥م: ١٥١٢.
(٤) الجاحظ، تهذيب الأخلاق، مجمع اللغة العربيَّة، دمشق، ١٣٤١هـ: ١/ ٢٨.
(٥) سورة آل عمران: الآية ١٣٣.

وقولـه ﷻ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[1]، ومنها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾[2]، وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾[3]، فنجد التعبيرات في التسـابق والسرعة، فهذه الآيات تدعو إلى التسـابق والتنافس في الخيرات، وَهي تكون بالهمـم. عـن أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام قـال: «**قدر الرجل على قـدر همّته**»[4]، وقال: «**المؤمن بشره في وجهه.. بعيد همُّه**»[5]، وقال: «**من رقى درجات الهمم عظمّته الأمم**»[6].

وجاءت هذه القيمة على لسان الشاعر السيِّد حيدر الحلِّيّ، إذ قال مُنشدًا[7]:

«هـمـامٌ لـه عـزمٌ بـه الـشُّـمُّ في الـوغـى
تَـعُـودُ أعـالـيـهُـنَّ وَهـي أسـافِـلُ»

وَمِن الملاحظ في البيت السالف بأَنَّ الهمَّة هي من خصال أصحاب الطموحات؛ لأنَّها لازمة تتحقَّق من خلالها الطموحات، وَهي على مستويات، وكان عليها نبيُّنا الكريم صلى الله عليه وآله، لذلك أرسله الله لكلِّ الدنيا دون سائر الأنبياء، وذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[8]، وقد استورثها سبطه الإمام الحسين عليه السلام؛ لذلك يشير شاعرنا إلى الهمَّـة التي كانت عند الإمام الحسـين عليه السلام، واصفًـا إيَّاها أنَّ بها يعلى السـافل، وهذه من ضروريَّات بناء المجتمع؛ لأنَّ الذي يقوم ببناء مجتمع لا بدَّ أن تكون له أعلى همَّة.

(١) سورة المطفِّفين: الآية ٢٦.
(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦١.
(٣) سورة الواقعة: الآية ١٠.
(٤) ابـن أبي الحديـد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمَّـد ابراهيم، ط١، دار الكتـاب العربـيّ، بغداد، ٢٠٠٧م: ١٦/ ٢٣٧.
(٥) المصدر نفسه: ١٦/ ٣٣٣.
(٦) المصدر نفسه: ١٦/ ٦٦١.
(٧) الحِلِّـيّ، المصدر السابق: ١/ ١٤٢.
(٨) سورة سبأ: آيه ٢٨.

تاسعًا: الإباء

إنَّ إبـاء الإمام الحسـين عليه السلام للضَّيم، ومقاومته للظلم، واسـتهانته القتل في سـبيل الحقِّ والعزِّ، ضُربت به الأمثال، وسـارت به الركبان، ومُلِئَت به المؤلَّفات، وخَطبت به الخطباء، ونظمته الشعراء، وكان قدوةً لكلِّ أَبيٍّ، ومثالًا يحتذيه كلُّ ذي نفس عاليةٍ وهمَّةٍ ساميةٍ، ومنوالًا ينسج عليه أهل الإباء في كلِّ عصرٍ وَزمان، وطريقًا يسلكه كلُّ من أَبتْ نفسـه الرضا بالدنيَّة وتحمُّل الذلِّ والخنوع للظلم، وقد أتى الإمام الحسـين عليه السلام في ذلك بـما حيَّر العقول وأذهـل الألباب وأدهش النفـوس وملأ القلوب وأعيـا الأمم عن أن يشـاركه مشارك فيه، وأعجز العالم أن يشابهه أحدٌ في ذلك أو يضاهيه، وأعجب به أهل كلِّ عـصر، وبقي ذكره خالدًا ما بقي الدهر. ولـمَّا أحيط به بكربلاء وقيل له: أنزل على حكـم بني عمَّك، قال: «**لا والله! لا أعطيكم بيدي إعطـاء الذليل ولا أقرُّ إقرار العبيد، فأختـار المنيَّة على الدنيَّة، وميتة العزِّ على عيش الـذلِّ**»، وَقال: «**ألا إنَّ الدعيَّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين: السلة والذِّلة، وهيهات منا الذلَّة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وجدود طابت وحجور طهرت وأنوف حميَّة ونفوس أبيَّة لا تؤثِر طاعة اللئام على مصارع الكرام**». أقدم الحسـين عليه السلام على الموت مقدِّمًا نفسـه وأولاده وأطفالـه وأهل بيته للقتل قربانًا وفاءً لدين جدِّه بكلِّ سـخاءٍ وطيبةِ نفْسٍ وعدم تردُّدٍ، وتوقَّف قائلًا بلسان حاله: **إن كان دين محمَّد لم يسـتقم إلَّا بقتلي فيا سيوف خذيني**. وهذا هو الإباء، وقد تجلَّى أكثر تجليًّا في شعر السيِّد حيدر الحلِّيّ لآل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام[1]:

«بـنـفـسي وآبـائـي نـفـوسًـا أبـيَّـةً
يُـجَـرِّعُـهَـا كـأسَ المـنـيَّـةِ مـترفُ»

الشـاعر يتفدي بنفسـه ونفوس آبائه التي أَبَت في الظلم والذلَّ والهوان والرذائل،

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ٩٣.

أي رفضت كلَّ ذلك؛ لأنَّهُ يتنافى مع الإنسانيَّة، ويشير أيضًا شاعرنا الفاضل من خلال ذلك إلى أنَّ الذي جَرَّعَ تلك النفوس كأس المنيَّة هو شخص مُترف، لا يعلم ما هي الآلام الإنسانيَّة، وما هي الجروح التي مرَّ بها الإنسان، ونستنبط أنَّ آل البيت عليهم السلام مرُّوا بما مرَّت به الإنسانيَّة من لوعات وآلام وجروح، بل أشدَّ من ذلك.

أيُّها القارئ العزيز، تعال هنا لنستمع إلى أبيات السيِّد حيدر الحلِّيّ وهو يصوِّر معركة الطفِّ أروعَ تصوير، والصوَّر تتلاحق، بحيث يقتنصها الواحدة بعد الأُخرى، ويجمع في سِلالِهِ أجملَ الزهور حين يقول[1]:

«فإمَّا يُرى مذعنًا أو تمو
تُ نفسُ أبى العزُّ إذعانَها
فقال لها: اعتصمي بالإبا
فنفسُ الأبيِّ وما زانَها
إذا لم تجد غير لبس الهوا
نِ فبالموتِ تخلع جثمانَها
رأى القتلَ صبرًا شعارَ الكرا
مِ وفخرًا يُزين لها شانَها
فشمَّرَ للحربِ في معركٍ
به عرك الموتُ فرسانَها
فأضرمها لعنان السما
ءِ حمراءَ تلفح أعنانَها
ركينٌ ولا للأرض تحت الكما
ةِ رجيفٌ يزلزل ثهلانَها

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١٠٨.

أقــرُّ عــلى الأرض مــن ظـهـرهـا
إذا مـلـمـل الـرعــب أقــرانَهــا

*****

تــركــتُ حــشــاك وسـلــوانَهــا
فــخــلِ حــشــايَ وأحــزانَهــا
كــفــاني ضـنــىً أن تُــرى بـالحسيـ
ــن شـفـت آلُ مــروانَ أضـغـانَهـا
فــأغــضــبــتِ اللهَ في قـتـلـه
وَأرضــــت بــذلــك شـيـطـانَهـا
عــشــيــةَ أنهــضــهــا بـغـيُـهـا
فــجــاءتــه تــسـحـبُ طـغـيـانَهـا
بـجـمـعٍ مــن الأرض سـدَّ الـفـرو
جَ وغـطَّـى الـنـجـودَ وغـيـطـانَهـا
وطــا الــوحــش إذ لم يجـد مـهـربًـا
ولازمــــتِ الــطــيـرُ أوكــانَهــا
وحـفَّـتْ بِـمـن حـيـثُ يـلـقى الجمو
عَ يُـثـنَّـي بِـمـاضـيـه وحـدانَهـا
وسـامـتـه يـركـبُ أحــدى اثـنـتـيـ
ــنِ وقـد صرَّتِ الحـربُ أسـنـانَهـا

*****

كــــأنَّ المـنـيـة كـانـت لـدي
ــهِ فـتـاةٌ تـواصـل خـلـصـانَهـا

جلتها له البِيضُ في معركٍ
به أثكل السمر خرصانَها
فبات بها تحت ليل الكفا
حِ طروبَ النقيبة جذلانَها
وأصبح مشتجرًا للرما
حِ تُحلِّي الدما منه مُرانَها
عفيرًا متى عاينته الكما
ةُ يختطف الرعب ألوانَها
فما أجلتِ الحربُ عن مثلهِ
صريعًا يجبِّنُ شجعانَها
تزيد الطلاقة في وجهه
إذا غير الخوف ألوانَها
ولمَّا قضى للعلى حقها
وَشيَّد بالسيف بنيانَها

*****

تَرَجَّلَ للموت عن سابقٍ
له أخلتِ الخيلُ ميدانَها
غريبًا أرى يا غريبَ الطفو
فِ توسدَ خديك كثبانَها
ألستَ زعيمَ بني هاشمٍ
ومطعامَ فهرٍ ومطعَانَها»

هذا الحشدُ من الصور الرائعة تطالع المتلقِّي، تشدُّه صورة فيبدي إعجابه بِها، وقبل

أن يُعـرِبَ عـن سروره بِهـا، تبهره أُخرى أكثر روعـة، وكأنَّه في روضـة جميلة الأزهار، صورة جيش سـدَّ مطالعَ الآفاق وفروج الأرض، فلم تجد الطير غير قممِ الجبال مأوى لهـا، وقد أحاط هذا الجيش بفارس إذا نازل البطل شـطره نصفَـين، وأرادوه أن يخضع لرغبتهم فيستسـلم لهم، فأراهم عجبًا حين نازلهم منفردًا، فهزم جمعهم، لا يخشى المنيَّة، وكأنَّها غادة جميلة سار للقائها في ساحة الحرب، ولـمَّا أدَّى رسالته وأنجزَ مهمَّته القتاليَّة، عانـق حبيبته المنيَّة، تحمل له بُردَ الشـهادة، وبات بِها في سـاحة المعركة، وأصبح صريعًا تحلِّي دماؤه رماحَ المقاتلين، صور عجيبة متلاحقة من الروعة والجمال لم يرسمها غير يراع السيِّد حيدر الحِلِّيّ، أسمعتَ راثيًا قبله أو بعده يقول[1]:

«عـفـيـــرًا مـتـى عـايـنـتـــه الـكـما
ةُ يخـتـطـف الـــرعـــبُ ألـــوانَهـــا
فـــما أجـلـــت الحـــرب عـــن مثـلـه
صريـــعًـــا يجـبِّـــن شُـجـعَـــانَهـــا؟»

هـذا رثاء من نوع جديد طلع به علينا هذا الشـاعر ما عهدنـاه من قبلُ، أمَّا الإيقاعُ فكـان عذبًـا جميلًا في لفظٍ متناسـق، هـل لاحظته يقـارن بين السـلوان والأحزان؟ وأغضبت وأرضت؟ والطلاقة والخوف؟ والبِيض والسُّـمر؟ ومطعام ومطعان؟. كـان الشـاعر يمزج عـواطفـه الصادقة التي تتدفَّـق ينابيعها من داخله بـألفـاظه السـهلة البسـيطة التي تحمل معاني كبيرة وأغراضًا سـاميةً، فكان شـعره يتميَّز بالدقَّة في التعبير، وبلاغة البيان وفصاحته وروعته وقوَّته، وجزالة الأسلوب ورصانته ونصاعته، وحسن الصياغة والديباجة، والوضوح في الألفاظ، والبراعة في التصوير؛ ليتَّخذ الشـعرَ وسيلةً للوصولِ إلى أهدافه العالية، ألَا وهي بيان القيم الإنسانيَّة.

(١) الحِلِّيّ، المصدر السابق: ١/ ١١٠.

الخاتمة

إنَّ النزعة الإنسانيَّة عند السيِّد حيدر الحِلِّيّ تجلَّت في مواضيعَ شتَّى، وهنا نختصرها لكي نصل إلى ما نبتغيه؛ لأجل توضيح الفكرة، لذا نذكر بعضها فيما يأتي:

بدايةً حينما نقرأ عن الحميَّة والغيرة في شعر شاعرنا، نراه يستنكر الجلوس مكتوف اليدَين مقابل الفساد والطاغوت، فهو يرى أوج الحميَّة الصحيحة هي الحميَّة على الإسلام والقرآن وآل بيت النبوَّة عليهم السلام، وكذلك الوقوف ضدَّ الظلم والظالم الذي يسعى لفساد الأمَّة، وانتهاك حرمات الإسلام، وهتك القرآن، وغصب حقِّ أهل البيت عليهم السلام. ومِن جانبٍ آخر، يرى بأنَّ الحريَّة لا تؤخذ إلَّا بالسيف، ولا بدَّ لها من تضحيات، فهو يرى أبا الأحرار عليه السلام حامل لواء الحريَّة لكلِّ الأجيال، ولن تحصل هذه إلَّا أن تُدرس في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام، ومن هذا المنطلق تَربَّت الأحرار في هذه المدرسة من يوم عاشوراء إلى يومنا هذا.

يرى شاعرنا أنَّ شجاعة الإمام الحسين عليه السلام في الدفاع عن العقيدة هي أكبر الدوافع لخوض معركة كربلاء، ويسعى الشاعر في شعره إلى التذكير بشجاعة سيِّد الشهداء عليه السلام لأجل الدين، وأراد من ذلك تربية الأجيال القادمة للدفاع عن الإسلام، ومن حيث الكرم يبيِّن لنا أنَّ كرامة أهل البيت والإمام الحسين عليه السلام هي آية سماويَّة، فهُم أكرم أهل الأرض، وكرمهم وفضلهم شمل أهل الأرض والسماوات، والدليل على ذلك الروايات المتعدِّدة الواردة في الأحاديث.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١. ابـن أبي الحديد (٢٠٠٧م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمَّد ابراهيم، ط١، دار الكتاب العربيّ، بغداد.

٢. ابن طاووس، السيِّد عليّ بن موسى (١٣٤٨ش)، اللهوف على قتلى الطفوف، منشورات جهان، طهران.

٣. ابن طاووس، السـيِّد عليّ بن موسى (١٩٧٨م)، كتاب الملاحم، ط٥، شريف الرضيّ، قم المقدَّسة.

٤. ابـن فارس، أحمد (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السـلام محمَّد هارون، دار الفكر، بيروت.

٥. ابن منظور، جمال الدين (١٩٩١م)، لسان العرب، ط١، دار الفكر، بيروت.

٦. أبـو حلفة، أحمـد (١٩٧٩م)، الإلتزام في الشـعر العـربيّ، دار العلم الملايين، بيروت.

٧. الأصبهانيّ، الراغب (بلاتا)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشـعراء والبلغاء، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.

٨. الأمين، السيِّد محسن (١٩٨٣م)، أعيان الشيعة، حَقَّقهُ وأخرجَهُ حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٩. الأمينيّ، عبد الحسين (١٤٣١هـ)، موسوعة الغدير في الكتاب والسنَّة والأدب، ط٣، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلاميّ، قم المقدَّسة.

١٠. بابطين، عبد العزيز سعود (بلاتا)، شعراء الحِلَّة في معجم البابطين لشعراء العربيَّة في القرنَين التاسع عشر والعشرين، جمعهُ و علَّق عليه مهدي عبد الأمير مفتن الكطرانيّ، مركز بابل للدراسات الحضاريَّة والثقافيَّة، بابل.

١١. البصير، محمَّد مهدي (١٩٤٦م)، نَهضة العراق الأدبيَّة في القرن التاسع عشر، ط١، مطبعة المعارف، بغداد.

١٢. الجاحظ (١٣٤١هـ)، تهذيب الأخلاق، مجمع اللغه العربيَّة، دمشق.

١٣. الجرجانيّ، عليّ بن محمَّد (٢٠٠٧م)، التعريفات، تحقيق عادل أنور، دار المعرفة، بيروت.

١٤. الجواهريّ، محمَّد مهدي (٢٠٠٠م)، الديوان، مراجعة يوسف الهادي، بيان للنشر والتوزيع، بيروت.

١٥. الجواهريّ، محمَّد مهدي (١٩٨٨م)، ذكرياتي، ط١، دار الرافدين، دمشق.

١٦. جويدة، فاروق (١٩٨٣م)، الديوان؛ شيء سيبقى بيننا، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.

١٧. الحرُّ العامليّ، محمَّد بن الحسن (١٤١٤هـ)، وسائل الشيعة، دار نشر آل البيت عليهم السلام، قم المقدَّسة.

١٨. حسن بيطار، عبد الرزاق (١٤١٣هـ)، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، دار الصادر، بيروت.

١٩. الحـلِّيّ، السـيِّد حيـدر (١٩٨٤م)، الديـوان، تحقيـق الخاقانيّ، ط٢، مؤسَّسـة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت.

٢٠. الخاقانيّ، عليّ (١٩٥٣م)، شعراء الحِلَّة، مطبعة الزَّهراء، بغداد.

٢١. دقـاق، عمـر (١٩٦١م)، الاتِّجاه القوميّ في الشـعر المعـاصر، جامعة الدول العربيَّة، معهد الدراسات العربيَّة العالية.

٢٢. رضا، محمَّد رشـيد (١٩٩٠م)، تفسـير المنـار، الهيئة المصريَّـة العامَّة للكتاب، القاهرة.

٢٣. الرفاعيّ، هاشم (١٤٠٠هـ)، الديوان، جمع وتحقيق محمَّد حسن بريغش، ط١، مكتبة الحرمَين، الرياض.

٢٤. الـزركليّ، خـير الدِّيـن (٢٠٠٢م)، الأعـلام، ط١٥، دار العلـم للملايـين، بيروت.

٢٥. السماويّ، الشـيخ محمَّد (٢٠٠١م)، الطليعة من شـعراء الشيعة، حَقَّقهُ كامل سلمان الجبوريّ، ط١، دار المؤرِّخ العربيّ، بيروت.

٢٦. شـبَّر، جواد (٢٠٠١م)، أدب الطفِّ أو شـعراء الحسـين عليه السلام، ط١، مؤسَّسـة التاريخ، بيروت.

٢٧. الشـعيريّ، محمَّد بن محمَّد (بلاتا)، جامع الأخبـار، المطبعة الحيدريَّة، النجف الأشرف.

٢٨. الصاوي، أحمد (١٩٨٤م)، مفهوم الجمال في النقد الأدبيّ؛ أصوله تطوُّره، ط١.

٢٩. الطهـرانيّ، آقا بـزرك (١٤٠٣هـ)، الذريعـة إلى تصانيف الشـيعة، ط٣، دار الأضواء، بيروت.

٣٠. عبد الرحمن، إبراهيم أحمد (١٩٨٩م)، الفضائل الخلقيَّة في الإسلام، دار الوفاء، القاهرة.

٣١. عبدة، محمَّد (بلاتا)، شرح نهج البلاغة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣٢. علوش، جواد أحمد (١٩٧٨م)، أُدباء حليُّون، ط١، مكتبة الفكر الجامعيّ، بيروت.

٣٣. فرحات، يوسف (٢٠٠٢م)، شرح ديوان الإمام عليّ عليه السلام، ط٨، دار الكتاب العربيّ، بيروت.

٣٤. الفيروز آباديّ، محمَّد بن يعقوب مجد الدين (٢٠٠٥م)، القاموس المحيط، ط٨، تحقيق محمَّد نعيم العرقسوسيّ، مؤسَّسةالرسالة، بيروت.

٣٥. قميحة، مفيد (١٩٨١م)، الاتِّجاه الإنسانيّ في الشعر العربيّ للمعاصر، ط١، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٣٦. القوال، أنطوان (١٩٩٩م)، المجموعة الكاملة لمؤلَّفات جبران العربيَّة، الشعر، ط١، دار الجيل، بيروت.

٣٧. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب (١٣٦٥ش)، الكافي، تصحيح عليّ أكبر غفاري، ط٤، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران.

٣٨. المجلسيّ، محمَّد باقر (١٤٠٣هـ)، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت.

٣٩. محمود طه، عليّ (٢٠٠٤م)، الديوان، ط٢، دار العودة، بيروت.

٤٠. مصطفى، إبراهيم وآخرون (١٩٨٩م)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، إستانبول.

٤١. النراقـيّ، مهـدي (بلاتـا)، جامـع السـعادات، ط٤، مؤسَّسـة الأعلمـي، بيروت.

٤٢. النـوريّ، الشـيخ حسـين (١٣٠٤هـ)، جنَّة المـأوى، ط٢، مؤسَّسـة الوفاء، بيروت.

٤٣. الوائلي، إبراهيم (١٩٧٨م)، الشعر السـياسيّ العراقيّ في القرن التاسع عشر، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد.

٤٤. الوائـليّ، أحمـد (١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، تجاربي مـع المنـبر، ط١، دار الزَّهراء، بيروت.

٤٥. اليعقوبيّ، الشيخ محمَّد عليّ (بلاتا)، شعراء الحِلَّة أو البابليَّات، مطبعة الزَّهراء، النجف الأَشرف.

٤٦. يوسف، عزّ الدين (١٩٦٥م)، الشعر العراقيّ في القرن التاسع عشر خصائصه وأهدافه، الدار القوميَّة، القاهرة.